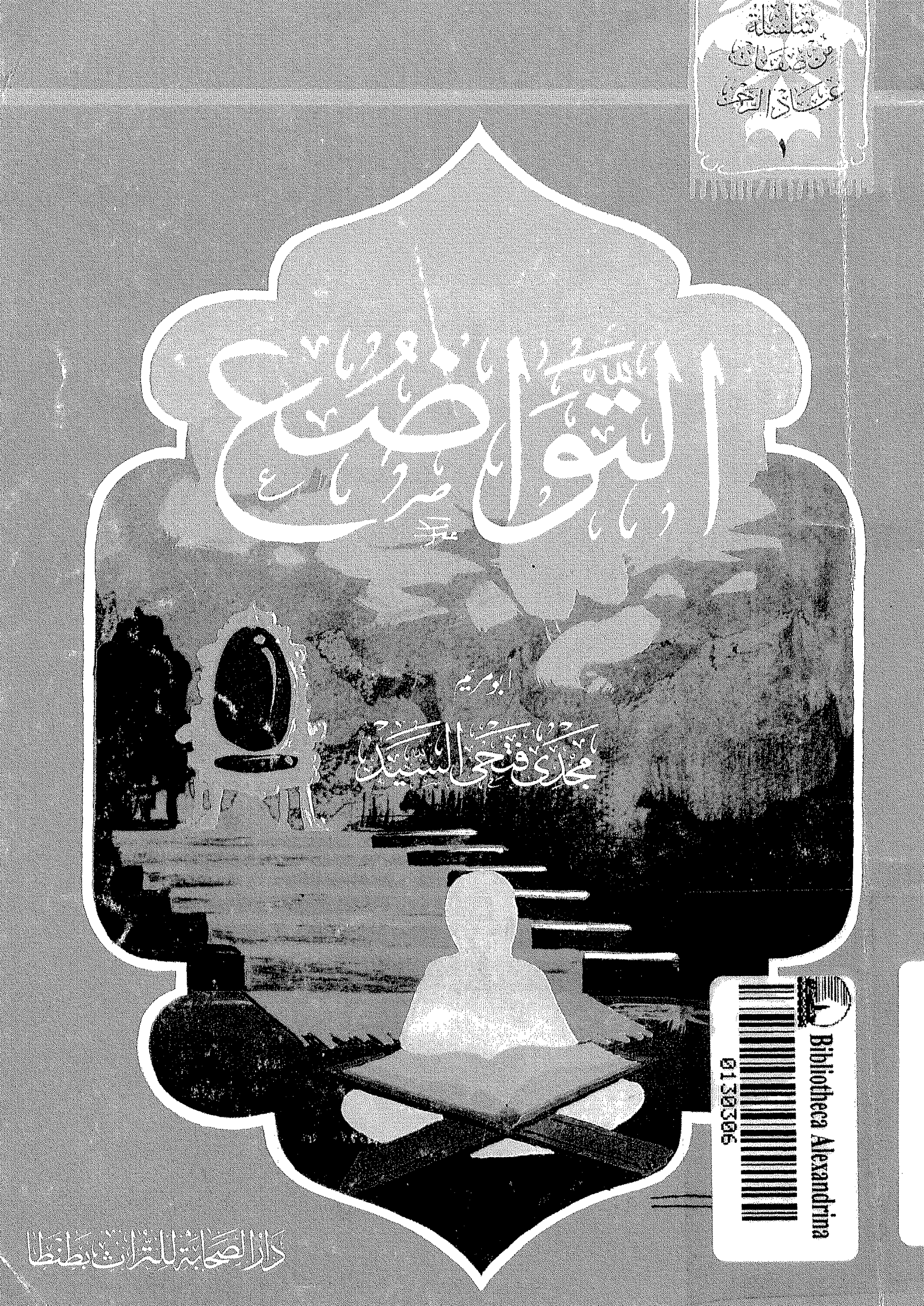

سلسلة
من صفات عباد الرحمن
١
التواضع
أبو مريم
مجدي فتحي السيد
دار الصحابة للتراث بطنطا
Bibliotheca Alexandrina
01303306

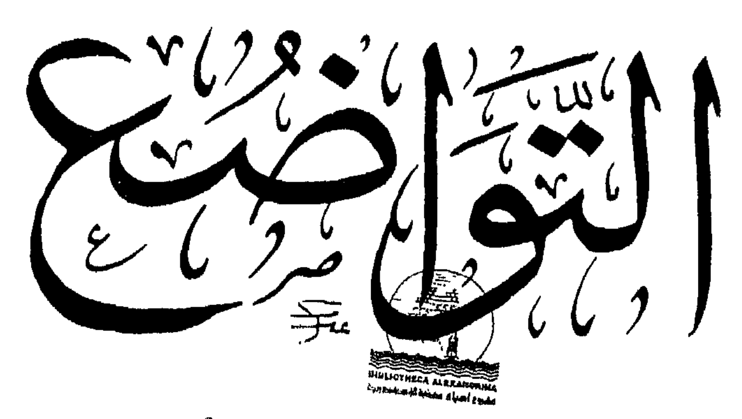

التواضع

الطبعة الثانية
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

لدار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع
ت : ٣٣١٥٨٧ - ص . ب : ٤٧٧
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون


سلسلة
من صفات
عباد الرحمن

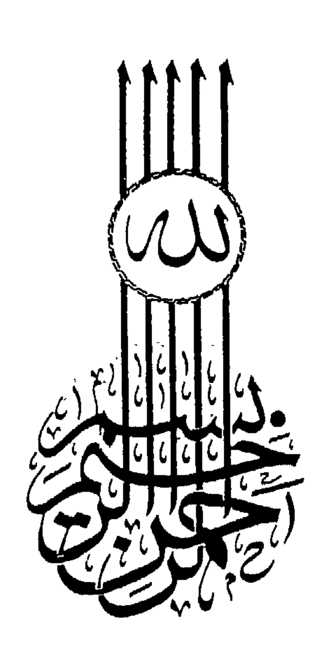
١


التواضع

أبو مريم


مجدي فتحي السيد


دار الصحابة للتراث بطنطا
ت: ٢٢١٥٨٧ ص.ب: ١٧٧


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

من صفات عباد الرحمن التواضع بين الأنام ، والبعد عن التكبر والخصام . والتواضع فضيلة كريمة ، وصفة حميدة ، تحبب العبد الذى يتخلق بها إلى الناس ، وتعظمه فى نفوسهم ، وتجعل منه ملء العيون والقلوب ، ولذلك نجد أن الناس يشتهون قرب المتواضع ، ويتمنون لقاءه ، ويستأنسون بحديثه بل ، ويعشقون معاملته ، ويتفانون فى خدمته .

وللتواضع من الفوائد الأخروية والدنيوية ، مالا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى فمن الفوائد الأخروية أنه يجلب رضى الرحمن ، ودخول الجنان ، والنجاة من النيران ، والفوز بالحور العين ، والسكنى مع النبيين والصالحين . وحسبك ياعبد الله بهذا من التواضع ، ولكن لو نظرنا وتأملنا بدقة لوجدنا أن للتواضع من الفوائد الدنيوية كذلك الخير الكثير ، فمنها أنه يكسب العبد السلامة ، ويرفع الحقد من قلبه ، ويورث قلبه المحبة للآخرين ، ويورث الناس محبته والهيبة له .

وهذه رسالة صغيرة ، قمت بجمعها من أمهات الكتب ، ملتمسًا بها إصلاح قلبى ، وقلوب الآخرين ، لكى نصل إلى مرتبة المتواضعين التى هى من صفات الصالحين ، ومن شيم المؤمنين ، ومن زينة العابدين الزاهدين .

فاللهم اجعلنا من عبادك المتواضعين ، ولاتجعلنا من المتكبرين ، اللهم اصلح لنا فساد قلوبنا ، واشرح لنا صدورنا ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين ، والحمد لله رب العالمين .

أبو مريم/ مجدى السيد

طنطا

فى ١٤ من ذى القعدة ١٤٠٧ الموافق

٢٠ يوليو ١٩٨٧

بين يدى الموضوع

التعريف اللغوى للتواضع :

قال صاحب مختار الصحاح : التواضع : التذلل .

وقال ابن منظور : والتواضع : التذلل ، وتواضع الرجل : ذل[1] . أى أن المراد هو أن العبد إذا أراد أن يكون من المتواضعين ، أن يذل نفسه لله ، بالخشوع له ، والاستسلام لحكمه ، وترك الاعتراض على قضائه .

وأصل التواضع من الضِعة بكسر أوله ، وهى الذلّ والهوان . ولكن الذل والهوان لله هو العز ، ولغيره هو المهانة .

وقال القرطبى : التواضع : الانكسار والتذلل وهو يقتضى متواضعًا له ، وهو الله تعالى ، ومن أمر الله بالتواضع له كالرسول ، فهذا التواضع الواجب المحمود ، الذى يرفع الله به صاحبه فى الدارين ، وأما التواضع لأهل الدنيا ولأهل الظلم ، فذاك الذل الذى لا عزّ معه . انتهى ..

---

(١) لسان العرب : ٨/ ٣٩٧ .

تعريف التواضع
عند السلف

قال الفضيل بن عياض رحمه الله :

التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة ، فمن رأى لنفسه قيمة فليس له فى التواضع نصيب .

وقال الجنيد بن محمد رحمه الله :

هو خفض الجناح ، ولين الجانب .

وقال ابن عطاء رحمه الله :

هو قبول الحق ممن كان ، والعز فى التواضع ، فمن طلبه فى الكبر ، فهو كتطلب الماء من النار .

وقال ابن القيم الجوزية رحمه الله :

التواضع أن يلتقى سلطان الحق بالخضوع له ، والذل ، والانقياد ، بحيث يكون الحق متصرفًا فيه تصرف المالك فى مملوك ، فبهذا يحصل للعبد خُلق التواضع[1] .

وقال الحسن :

التواضع أن تخرج من بابك ، فلا يتلقاك مسلم إلا رأيت له عليك فضلا .

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٤٦ .

الباب الأول
فضل التواضع فى القرآن الكريم

أمر الله – جل ثناؤه – نبيه – ﷺ – بالتواضع لمن آمن به من المؤمنين فقال عز وجل﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1] أى تواضع ، وألن جانبك يامحمد – ﷺ – لمن كان من أتباعك من المؤمنين ، فإن لم يطيعوك وانصرفوا عنك وخالفوا أمرك ، فتبرأ منهم ومن أعمالهم .

قال أبو حيان :

لما كان الإنذار يترتب عليه الطاعة أو العصيان ، جاء التقسيم عليهما ، فكأن المعنى : من اتبعك مؤمنًا فتواضع له ، ومن عصاك فتبرأ منهم ومن أعمالهم[2] .

قال الإمام القرطبى :

أى ألن جانبك لمن آمن بك ، وتواضع لهم . وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ ، فجعل ذلك وصفًا لتقريب الإنسان أتباعه ، ويقال : فلان خافض الجناح ، أى وقور ساكن . والجناحان من ابن آدم جانباه ، ومنه قوله تعالى ﴿ **واضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ** ﴾[3] وجناح الطائر يده[4]انتهى .

ومدح الله – عز وجل – عباده المؤمنين بصفات كثيرة ، منها أنهم كانوا

---

(١) سورة الرعد : ٢١٥ .
(٢) تفسير البحر المحيط ٧/ ٤٦ .
(٣) سورة طه : ٢٢ .
(٤) القرطبى [٣٦٧٣] طبعة الشعب .

فى الدنيا يتواضعون ، ولا يتكبرون فقال جلت قدرته :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ، وإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلَامًا ﴾(١) .

قال ابن عباس :

هم المؤمنون الذين يمشون علماء حلماء ذوى وقار وعفة .

وعن عمر بن الخطاب :

أنه رأى غلامًا يتبختر فى مشيته ، فقال : إن البخترة مشية تكره إلا فى سبيل الله – يعنى الجهاد – ، وقد مدح الله أقواما فقال ﴿ وعباد الرحمن ﴾ .

قال ابن كثير :

هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿ الذين يمشون على الأرض هونا ﴾ أى بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار ، فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أشر ولا بطر ، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعًا ورياء . فقد كان سيد ولد آدم – ﷺ – إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وكأنما الأرض تطوى له ، وقد كره السلف المشى بتضعف وتصنع حتى روى عن عمر أنه رأى شابا يمشى رويدًا ، فقال ما بالك ، أأنت مريض ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، فعلاه بالدرة ، وأمره أن يمشى بقوة(٢) . انتهى

قال الشيخ المراغى :

أى وعباد الله الذين حق لهم الجزاء والمثوبة من ربهم ، الذين يمشون فى سكينة ووقار ، لا يضربون بأقدامهم كبرًا ، ولا يخفقون بنعالهم أشرا

---

(١) سورة الفرقان : ٦٣ .

(٢) ابن كثير ٣/ ٣٢٤ .

وبطرا[1] . انتهى

قال الحسن :

هم الحلماء لايجهلون ، وإن جهل عليهم حلموا و لم يسفهوا ، هذا نهارهم فكيف ليلهم ؟ خير ليل ، صفوا أقدامهم ، وأجروا دموعهم ، يطلبون إلى الله – جل ثناؤه – فكاك رقابهم .

قال الإمام الطبرى :

فى التواضع مصلحة الدنيا والدين ، فإن الناس لو استعملوه فى الدنيا ، لزالت من بينهم الشحناء ، و لاستراحوا من تعب المباهاة والفخر[2]. انتهى

وبين تبارك وتعالى أن من أراد الآخرة وسعى لها سعيها ، وهو من عباده المؤمنين ، فهذا له من الله الجزاء المبين ، والأجر العظيم . وأما من أراد العلو فى البنيان ، والسمو فى الجاه ، والتطاول على خلق الله بالفساد والإفساد ، فليس له فى الآخرة إلا الندم والحسرات فقال جل شأنه :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فى الأَرْضِ ولَافسَادًا والْعَاقِبَةُ لِلْمتَّقِينَ ﴾[3] .

قال ابن كثير رحمه الله :

يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذى لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوًّا فى الأرض أى ترفعًا على خلق الله وتعاظمًا عليهم وتجبرًا عليهم ، ولا فسادًا فيهم ، كما قال عكرمة العلو التجبر . وقال مسلم البطين : العلو فى الأرض : التكبر بغير حق والفساد أخذ

---

(١) تفسير المراغى : ٧/ ٣٦ .
(٢) تفسير الطبرى : ١١/ ٢٦٩ .
(٣) سورة القصص : ٨٣ .

المال بغير حق . وقال على رضى الله عنه : إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل فى قوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها ... ﴾ قال ابن كثير معقبًا : وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره ، فإن ذلك مذموم[1] .

قال الشيخ الصابونى :

الإشارة للتفخيم والتعظيم ، أى تلك الدار العالية الرفيعة التى سمعت خبرها ، وبلغك وصفها هى دار النعيم الخالد السرمدى ، التى فيها ما لاعين رأت ، ولاأذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، نجعلها للمتقين الذين لا يريدون التكبر والطغيان ، ولا الظلم والعدوان فى هذه الحياة الدنيا[2] .

---

(١) ابن كثير (٣/ ٤٠٢) .
(٢) صفوة التفاسير (١١/ ١٠٣٤) .

التواضع فى السنة المطهرة

ينبغى لكل عبد أن يقتدى بالنبى ﷺ فى أخلاقه ، فمجامع حسن الأخلاق والتواضع ، سيرة النبى ﷺ ، فمن طلب التواضع فليقتد به ﷺ ، ومن لم يرض لنفسه ، بهذا الأمر ، فما أشد جهله ، وما أعظم تعاسته فى الآخرة ، فلقد كان أعظم خلق الله مكانة فى الدنيا والدين ، فلا عز ولا رفعة ، ولا سمو فى الدنيا والآخرة إلا فى الاقتداء به ﷺ .

وقد قال ابن أبى سلمة لأبى سعيد الخدرى : ماترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال : ياابن أخى كُل لله ، واشرب لله ، والبس لله ، وكل شىء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة ، فهو معصية وسرف ، وعالج فى بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ فى بيته ، كان يحلب الشاة ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويأكل مع خادمه ، ويشترى الشىء من السوق ، ولا يمنعه الحياء أن يلعق الإناء بيده ، ويصافح الغنى والفقير ، ويسلم مبتدئًا على كل من استقبله من صغير أو كبير ، يُجيب إذا دعى ، ولا يحقر مادعى إليه ، لين الخلق ، جميل المعاشرة ، طليق الوجه ، شديدًا فى غير عنف ، متواضعًا فى غير مذلة ، جوادًا من غير سرف ، رقيق القلب[1] ﷺ .

وعن الحسن أنه ذُكر رسول الله ﷺ ، فقال : لا والله ، ما كانت تغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحجاب ولايُغدى عليه بالجفان[2] ، ولا يروح عليه بها ، ولكنه كان بارزًا ، من أراد أن يلقى نبى الله لقيه ، وكان يجلس بالأرض ، ويُوضع طعامُه بالأرض ، يلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويُردف

---

(١) موعظة المؤمنين [١١٨] ، إحياء علوم الدين [٣٥٦ ، ٣٥٧] .

(٢) الجفان : مفردها جفنة ، القصعة الكبيرة يؤكل فيها .

عبده ، ويعلف دابته بيده[1] ﷺ .

١ – عن أنس – رضى الله عنه – أن امرأة عرضت لرسول الله ﷺ فى طريق من طرق المدينة ، فقالت :

يارسول الله ، إن لى إليك حاجة ، فقال : يأم فلان اجلسنى فى أى سكك المدينة شئت أجلس إليك ، قال : ففعلت ، فقعد إليها رسول الله ﷺ حتى قضى حاجتها[2] .

٢ – عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله »[3] .

٣ – عن الأسود قال : سألت عائشة – رضى الله عنها – ما كان النبى ﷺ يضع فى أهله ؟ قالت : كان فى مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة ، قام إلى الصلاة[4] .

٤ – عن أنس – رضى الله عنه – قال : كانت ناقة لرسول الله ﷺ تسمى العضباء ، وكانت لاتسبق ، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا سُبقت العضباء ، فقال رسول الله ﷺ : « إن حقًّا على الله أن لايرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه »[5] .

٥ – وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) صفة الصفوة [١/ ١٦٨ ، ١٦٩] .

(٢) أخرجه البخارى بمعناه (٨/ ٢٤) ، ومسلم (٢٣٢٦) فى الفضائل : باب قرب النبى ﷺ من الناس وتبركهم به ، وأبو داود (٤٨١٩) .

(٣) أخرجه البخارى (٤/ ٢٠٤) فى بدء الخلق : باب قوله تعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم ﴾ .

(٤) أخرجه البخارى (١٧/٨) فى الأدب : باب كيف يكون الرجل فى أهله .

(٥) أخرجه البخارى (٨/ ١٣١) فى الرقاق : باب التواضع .

« مانقصت صدقة من مال ، ومازاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه[1] » .

قال الإمام النووى رحمه الله :

قوله ﷺ « وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » فيه وجهان : أحدهما : يرفعه فى الدنيا ، ويثبت له بتواضعه فى القلوب منزلة ، ويرفعه الله عند الناس ، ويجل مكانه .

والثانى : أن المراد ثوابه فى الآخرة ، ورفعه فيها بتواضعه فى الدنيا[2] . انتهى فطوبى لعبدٍ تواضع لله عز وجل من غير منقصة ، وطوبى لعبد ذل لله من غير مسكنة وتصنع ، وطوبى لعبد أنفق ماجمعه فى غير معصية ، وطوبى لعبد رحم أهل الضعف والمسكنة ، طوبى لمن ذل فى نفسه ، وطاب كسبه ، طوبى لمن صلحت سريرته ، وكرمت علانيته ، طوبى لمن عزل عن الناس شره ، وعمل بعلمه .

فاعلم أخى أن التواضع لايزيد العبد إلا عزًّا ، وأن العفو لا يزيده إلا رفعة ، فتواضع يرفعك الله ، اعف عمن ظلمك يعزك الله .

اللهم اجعلنا من المتواضعين لجلالك ، الفقراء إلى رحمتك ، الأغنياء بك .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) فى البر : باب استحباب العفو والتواضع .

(٢) شرح النووى على مسلم (١٦/ ١٤٢) .

الباب الثانى

تواضع النبى ﷺ

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جلس جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ إلى السماء فإذا ملك نزل . فقال جبريل : هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يامحمد أرسلنى إليك ربك أفملكا نبيًّا أجعلك ، أو عبدًا رسولا ؟ .

قال جبريل : تواضع لربك يامحمد . قال : بل عبدًا رسولا(1)وعن عائشة بمعناه مع زيادة فى آخره : فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لايأكل متكئا . يقول : آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

٢ - وعن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله - ﷺ - فى طريق من طرق المدينة ، فقالت : يارسول الله أن لى إليك حاجة ، فقال « ياأم فلان اجلسى فى أى سكك المدينة شئت أجلس إليك » ، قال ففعلت ، فقعد إليها رسول الله - ﷺ - حتى قضت حاجتها(2) .

٣ - وعن عروة بن الزبير قال : سأل رجل عائشة : هل كان رسول الله - ﷺ - يعمل فى بيته ؟ قالت : **نعم كان رسول الله ﷺ يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته**(3) .

---

(١) قال الهيثمى [٩/ ١٩] : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال الأولين رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى باسناد حسن [مجمع] .

(٢) أخرجه مسلم [٢٣٢٦] فى الفضائل ، وأخرجه البخارى [٨/ ٢٤] فى الأدب وأخرجه أحمد (٣/ ٩٨) ، وأبو داود[٤٨١٨] .

(٣) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح ، وهو فى « المصنف » برقم [٢٠٤٩٢] وأخرجه أبو الشيخ فى « أخلاق النبى » ص٦٢ .
وانظر شرح السنة للبغوى [١٣/ ٢٤٣] .

٤- عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله و رسوله** »[1] .

وقوله « لاتطرونى » الإطراء : مجاوزة الحد فى المدح والكذب فيه ، وذلك أن النصارى أفرطوا فى مدح عيسى فزعمت طائفة منهم أنه الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا - وقالت أخرى هو ابن الله - حاشا لله - فمنعهم النبى - ﷺ - أن يطروه بالباطل سدًّا لهمزات الشيطان .

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح [٤/ ٢٠٤] .

تواضع الصحابة رضى الله عنهم

١ – عن أسلم قال : قدم عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – الشام على بعير فجعلوا يحدثون بينهم ، فقال عمر : تطمح(١)أبصارهم إلى مراكب من لاخلاق له(٢) .

٢ – وعن محمد بن عمر النخرومى عن أبيه قال : نادى عمر بن الخطاب : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس وكثروا صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه – ﷺ – ثم قال : أيها الناس لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فأظل يومى ، وأى يوم . ثم نزل ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يا أمير المؤمنين مازدت على أن قمئت(٣)نفسك ، فقال ويحك يابن عوف ... إنى خلوت فحدثتنى نفسى فقالت : أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك ، فأردت أن أعرفها نفسها(٤) .

٣ – وعن الحسن قال : خرج عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فى يوم حار واضعًا رداءه على رأسه فمر به غلام على حمار فقال : ياغلام احملنى معك . فوثب الغلام عن الحمار ، وقال : اركب ياأمير المؤمنين . قال : لا ، اركب وأركب أنا خلفك تريد تحملنى على المكان الوطىء ، وتركب أنت على الموضع الخشن فركب خلف الغلام ، فدخل المدينة وهو خلفه والناس ينظرون إليه(٥) .

---

(١) تطمح : ترتفع ، وتريد . أى أنه يعيب عليهم أمنيتهم مراكب المتكبرين .
(٢) أخرجه ابن عساكر وابن المبارك كذا فى المنتخب (٤/ ٤١٧) ، وحياة الصحابة (٢/ ٥٥٠) .
(٣) قمئت : أى عبت ، أى ذمت نفسك .
(٤) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٩٣) ، والمنتخب (٤١٧/٤) انظر : حياة الصحابة [٢/ ٥٥١] .
(٥) فى المنتخب (٤/ ٤١٧) ، وحياة الصحابة (٢/ ٥٥١) .

٤ – وعن سنان بن سلمة الهذلى قال : خرجت مع الغلمان ونحن بالمدينة نلتقط البلح فإذا عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – معه الدرة ، فلما رآه الغلمان تفرقوا فى النخل ، قال : وقمت وفى إزارى شيء قد لقطته . فقلت ياأمير المؤمنين هذا ما تلقى الريح ، قال : فنظر إليه فى إزارى فلم يضربنى ، فقلت : ياأميز المؤمنين الغلمان الآن بين يدى وسيأخذن ما معى ، قال : كلاامش قال : فجاء معى إلى أهلى[1] .

٥ – وعن عبد الله الرومى قال : كان عثمان – رضى الله عنه – يلى وضوء الليل بنفسه . فقيل : لو أمرت بعض الخدم فكفوك . فقال : لا ، إن الليل لهم يستريحون فيه[2] .

٦ – وعن ميمون بن مهران قال : أخبرنى الهمدانى أنه رأى عثمان بن عفان – رضى الله عنه – وهو على بغلة وخلفه عليها غلامه نائل وهو خليفة[3] .

٧ – وعن ثابت قال : كان سلمان – رضى الله عنه – أميرًا على المدائن ، فجاء رجل من أهل الشام من بنى تيم ، معه حمل تين ، وعلى سلمان عباءة . فقال لسلمان : تعال احمل ، وهو لايعرف سلمان ، فحمل سلمان ، فرآه الناس فعرفوه فقالوا : هذا الأمير . قال : لم أعرفك ، فقال له سلمان : لا حتى أبلغ منزلك . قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك[4] .

٨ – وولى أبو هريرة – رضى الله عنه – إمارة مرة . فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره ، ويقول : طرقوا للأمير[5] .

---

(١) أخرجه ابن سعد (٧/ ٩٠) ، وحياة الصحابة (٢/ ٥٥١) .
(٢) قال فى حياة الصحابة [٤/ ٥٥٢] أخرجه ابن سعد ، وأحمد فى الزهد وابن عساكر .
(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية [١/ ٦٠] .
(٤) أخرجه ابن سعد [٤/ ٦٣] .
(٥) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٣) .

٩ – وعن بكير بن الأشج أن عبد الله بن سلام خرج من حائط له بحزمة حطب يحملها ، فلما أبصره الناس . قالوا يا أبا يوسف . قد كان فى ولدك وعبيدك من يكفيك هذا ، قال : أردت أن أجرب قلبى هل ينكر هذا[١] .

١٠ – أمّ أبوعبيدة بن الجراح – رضى الله عنه – قومًا مرة ، فلما انصرف قال : مازال الشيطان بى آنفا ، حتى رأيت أن لى فضلا على من خلفى ، لا أؤُمّ أبدًا[٢] .

١١ – كان عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – يُسرع فى المشى ويقول : هذا أبعد من الزهـو ، وأسرع فى الحاجة[٣] .

---

(١) الزهد لابن المبارك برقم (٨٣٣) .
(٢) الزهد برقم (٨٣٤) .
(٣) الزهد (٨٣٦) .

الباب الثالث

أقوال الصحابة

فى فضل التواضع

١ – قالت عائشة – رضى الله عنها – :

إنكم لتغفلون أفضل العبادة « التواضع »[١] .

٢ – وقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – :

« إن الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكمته »[٢] .

٣ – وقال على بن أبى طالب – رضى الله عنه – :

« إذا أراد الله بعبد خيرًا هداه إلى العبادة ، وحبب إليه الدين وحسن صورته ، وجعله فى مكان كريم ، ورزقه تواضعا ، فكان بذلك من صفوة عباده المتقين »[٣] .

٤ – وعن معاذ بن جبلٍ قال : لا يبلغ عبد ذُرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف ، وما قل من الدنيا أحب إليه مما كثر ، ويكون من أحب ، وأبغض فى الحق سواء يحكم للناس كما يحكم لنفسه[٤] .

٥ – وقال جرير بن عبد الله – رضى الله عنه – انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم ، قد استظل بنطع له ، وقد جاوزت الشمس النطع فسوّيته عليه ، ثم إن الرجل استيقظ فإذا هو سلمان الفارسى ، فذكرت له ماصنعت فقال لى : ياجرير تواضع لله فى الدنيا ، فإنه من تواضع لله فى الدنيا رفعه

---

(١) أبو نعيم فى الحلية(٢/ ٤٧) ، وابن المبارك فى الزهد (٣/ ١٣٢) .

(٢) أخرجه ابن حبان فى روضة العقلاء (٦٠) بسنده .

(٣) سمير الصالحين (١٨٣) .

(٤) الزهد لابن المبارك [٥٢] .

الله يوم القيامة ، ياجرير أتدرى ماظلمة النار يوم القيامة ؟ قلت : لا ، قال : إنه ظلم الناس بعضهم بعضا فى الدنيا .

٦ – وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول : رأس التواضع أن ترضى بأدون المجالس ، لالحظ نفس ، فقد يجلس أحدهم عند النعال ومعه من الكبر ماالله به عليم ، وما حمله على مجلسه ذلك إلا ليقال إنه متواضع ، – وكان يقول من علامة تواضعك أن تكره ذكرك بالبر والتقوى بين الناس .

أقوال التابعين والعلماء
فى فضل التواضع

عن الحسن البصرى – رحمه الله – أنه ذكر هذه الآية :

﴿ الذين يمشون على الأرض هونا ﴾[1] قال المؤمنون قوم ذُلل ،ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والجوارح ، حتى يحسبهم الجاهل مرضى ، والله ما بالقوم من مرض ، وإنهم لأصحاء القلوب ، ولكن دخلهم من الخوف مالم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، وقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، والله ماأحزنهم حزن الناس ، ولا تعاظم فى أنفسهم ماطلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا فى مطعم أو مشرب فقد قل علمه ، وحضر عذابه[2] .

قال إبراهيم بن شيبان رحمه الله :

الشرف فى التواضع ، والعز فى التقوى ، والحرية فى القناعة .

– وكان عروة بن الزبير يقول : عليكم بالتواضع فإنه نعمة عظيمة ولا يحسدكم أحد عليها .

– قال يوسف بن أسباط : يجزى قليل الورع من كثير العمل ، ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد .

– وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه أن ليس لك بدنياك عليه فضل ، وأن ترفع نفسك

---

(١) سورة الفرقان : ٦٣ .
(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ١٥٣) ، والطبرى (١٩/ ٢٠ ، ٢١) ، وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (٣/ ١٣٤) ، وابن كثير فى تفسيره (٣/ ٣٢٤) .

عمـن هو فوقـك فى الدنيا حتى تعلـمه أنه لـيس له بدنيـاه عليك فضل .

– وقال قتادة : من أعطى مالًا أو جمالًا أو ثيابًا أو علمًا ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة .

– وقال كعب : ما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله ، وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها فى الدنيا ورفع بها درجة فى الآخرة ، وما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها و لم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها فى الدنيا ، وفتح له طبقًا من النار يعذبه إن شاء الله أو يتجاوز عنه .

– وقيل لعبد الملك بن مروان : أى الرجال أفضل ؟ قال : من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة ، وترك النصرة عن قوة .

– ودخل ابن السماك على هارون الرشيد فقال : ياأمير المؤمنين إن تواضعك فى شرفك ، أشرف لك من شرفك ، فقال : ماأحسن ماقلت . فقال : ياأمير المؤمنين إن امرأ آتاه الله جمالا فى خلقته ، وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده ، فعف فى جماله وواسى من ماله ، وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص أولياء الله .

– وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعًا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام .

– وقال زياد النمرى : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التى لا تثمر .

– وقال يحيى بن خالد : الشريف إذا تنسك تواضع ، والسفية إذا تنسك تعاظم .

– وقال أبو على الجوزجانى : النفس معجونة بالحرص والكبر والحسد ، فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة ، وإذا أراد

الله تعالى به خيرًا لطف به فى ذلك ، فإذا هاجت فى نفسه نار الكبر أدركها التواضع من نصرة الله تعالى ، وإذا هاجت نار الحسد فى نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل ، وإذا هاجت فى نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل .

– وقال المسيح عليه السلام : إن الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت على الصفا ، كذلك الحكمة تعمل فى قلب المتواضع ، ولا تعمل فى قلب المتكبر ، ألا ترون أن من شمخ برأسه إلى السقف شجه ، ومن طأطأ أظله وأكنه .

– وقال أبو حاتم البستى : التواضع يرفع المرء قدرًا ، ويعظم له خطرًا ، ويزيده نبلا .

وقال : ما استجلبت البغضة بمثل التكبر ، ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع ، ومن استطال على الإخوان ، فلا يثقن منهم بالصفاء ، ولا يجب لصاحب الكبر أن يطمع فى حسن الثناء ، ولا تكاد ترى تائها إلاوضيعا .

وعن أبى الحسن المهلبى قال : قال ذو النون المصرى :

علامة السعادة ثلاث : متى مازيد فى عمره نقص من حرصه ، ومتى زيد فى ماله زيد فى سخائه ، ومتى زيد فى قدره زيد فى تواضعه .

وعلامة الشقاء ثلاث : متى مازيد فى عمره زيد فى حرصه ، ومتى مازيد فى ماله زيد فى بخله ، ومتى مازيد فى قدره زيد فى تجبره وقهره وتكبره .

وقالت الحكماء : التواضع أحد مصايد الشرف ، والشرف مع التواضع . والكبر يضع . وهى حمى من المبغضة ، وحرز من المقت .

وقالت الحكماء : ثلاثة من أحسن الأشياء : جود لغير ثواب ، ونصب لغير دنيا ، وتواضع لغير مذلة .

وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر

يوم القيامة ، طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا ، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة ، طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا ، هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة .

قال أبو حاتم البستى :

الواجب على العاقل لزوم التواضع ، ومجانبة التكبر ، ولو لم يكن فى التواضع خصلة تحمله إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة ، لكان الواجب عليه أن لايتزيا بغيره . ثم قال :

العاقل يلزم مجانبة التكبر ، لما فيه من الخصال المذمومة :

إحداها : أنه لايتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل .

والثانية : ازدراؤه بالعالم ، لأن من لم يستحقر الناس لم يتكبر عليهم وكفى بالمستحقر لمن أكرمه الله بالإيمان طغيانًا .

والثالثة : منازعة الله جل وعلا فى صفاته ، إذ الكبرياء والعظمة من صفات الله عز وجل ، فمن نازعه إحداهما ألقاه فى النار[1] .

---

(١) ابن حبان . روضة العقلاء [٦٠ ، ٦١] .

الباب الرابع
صفات المتواضعين
وأحوالهم

(١) أنهم يكرهون أن يقوم أحد من الناس لهم ، وهم قعود ، ولو كانوا هم أرفع منه منزلة وسموًّا. ولذلك ورد أن عليا رضى الله عنه قال : « من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد ، وبين يديه قوم قيام » والمراد من قوله – والله أعلم – من يفعل ذلك تكبرًا وخيلاء ، وطلبًا للترفع عن من دونه مرتبة من الناس .

(٢) ومن صفاتهم ، أنهم لايحبون أن يمشى وراءهم أحد ، ولذا كان أصحاب النبى – ﷺ – يكرهون أن يسير الناس خلفهم فما بالنا بمن هو دون الناس بمراحل ومراحل .

– قال أبو الدرداء : لايزال العبد يزداد من الله بعدًا ما مشى خلفه .

– وكان عبد الرحمن بن عوف لايعرف من عبيده .

– وسار قوم خلف عبد الله بن مسعود ، فنظر إليهم غاضبًا وقال لهم : ارجعوا فإنها فتنة للمتبوع ، وذلة للتابع .

(٣) ومن صفاتهم أيضا : أنهم يزورن غيرهم ، ماداموا يعلمون أن فى تلك الزيارات منفعة لغيرهم فى الدين . ولذا ورد أن سفيان الثورى قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن آدم : أن تعال فحدثنا ، فجاء سفيان . فقيل له : – أى إبراهيم – يأبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا ؟ فقال : أردت أن أنظر كيف تواضعه .

أما الذين لا يزورن غيرهم ، وإن يتأتى من وراء ذلك المنفعة لغيرهم فى الدين ، فهذا بخلاف التواضع ، وهو من صفات المتكبرين .

(٤) ومن صفاتهم أيضا أنهم لا يستنكفون من جلوس غيرهم إلى جوارهم ، أو بالقرب منهم ، ولايحبون من أحد أن يتهيبهم فى مجالسهم .

قال ابن وهب : جلست إلى عبد العزيز بن أبى روّاد فمس فخذى فخذه ، فنحيت نفسى عنه ، فأخذ ثيابى فجرنى إلى نفسه وقال لى : لم تفعلون بى ماتفعلون بالجبابرة ، وإنى لأعرف رجلًا منكم شرًّا منى ؟

(٥) ومن صفاتهم أيضًا أنهم يقومون بما يستطيعون به من أعمال فى بيوتهم ، وخارجها ، ولنا فى النبى - ﷺ أسوة حسنة فقد كان يخدم أهله فى كل شأن يستطيع أن يقوم به . كما مر بنا ذلك .

- وروى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف ، وكان يكتب فكاد السراج يطفأ ، فقال الضيف : أقوم إلى المصباح فأصلحه ؟ فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه ، قال : أفأنبه الغلام ؟ فقال عمر : هى أوّل نومة نامها ، فقام وملأ المصباح زيتًا . فقال الضيف : قمت أنت بنفسك ياأمير المؤمنين ؟ فقال : ذهبت وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شىء . وخير الناس من كان عند الله متواضعًا .

(٦) ومن صفاتهم أيضا : أنهم لايأنفون من حمل لأمتعتهم الخاصة ، لأنهم يعلمون أن الشرف فى ذلك ، والضعة فى غير هذا .

- قال على رضى الله عنه : لاينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شىء إلى عياله .

وقال بعضهم : رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحمًا بدرهم ، فحمله فقلت له : أحمل عنك ياأمير المؤمنين . فقال : لا أبو العيال أحق أن يحمل .

- وقال ثابت بن أبى مالك : رأيت أباهريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب ، وهو يومئذ خليفة لمروان ، فقال : أوسع الطريق للأمير ياابن أبى مالك .

– وعن الأصبغ بن نباتة قال : كأنى انظر إلى عمر رضى الله عنه معلقًا لحمًا فى يده اليسرى ، وفى يده اليمنى الدرة ، يدور فى الأسواق حتى دخل رحله .

– وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام .

(٧) ومن صفاتهم أيضًا ، أنهم لايظهرون ترفعًا فى لباسهم ، وفى نفس الوقت لايتحرجون من أحد لو كانت ثيابهم قديمة ، أو بها رقع .

– قال زيد بن وهب : رأيت عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – خرج إلى السوق وبيده الدرة ، وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم .

– وروى أن عمر بن عبد العزيز كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة بألف دينار فيقول : ماأجودها لولا خشونة فيها ، فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دارهم فيقول ماأجوده لولا لينه . فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك ياأمير المؤمنين ؟ فقال : إن لى نفسا ذواقة وإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلا تاقت إلى الطبقة التى فوقها ، حتى إذا ذاقت الخلافة وهى أرفع الطباق تاقت إلى ما عند الله عز وجل .

– وقال سعيد بن سويد : صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ، ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجل ياأمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست ؟ فنكس رأسه مليًّا ثم رفع رأسه فقال : إن أفضل القصد عند الجدة ، وإن أفضل العفو عند القدرة .

واعلم ياعبد الله أن الذم لايقصد به جودة الثياب أو جديدها ، إنما يقصد به من لبس الجديد ، وكان قد أفسد قلبه بالخيلاء والعجب .

– قال بكر بن عبد الله المزنى : البسوا ثياب الملوك ، وأميتوا قلوبكم بالخشية .

– وقال عيسى عليه السلام : مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى ؟ البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية .

(٨) ومن صفاتهم أيضا أنهم يتواضعون إذا سبهم أحد ، أو جلب لهم الأذى ، أو هضمهم شيئًا من حقهم .

فتلك على الإجمال الصفات الحسان ، من عباد الرحمن ، لمن أراد أن يفوز بالجنان ، ويعانق الحور العين ، ويلذ بالنظر إلى الرحمن . اللهم اجعلنا من هؤلاء بقدرتك يارحمن .

الباب الأخير

من ثمرات التواضع

أولا : إن العبد إذا تواضع لله – عز وجل – فقد عمل بما أوحى الله إلى نبيه – ﷺ – فى أمره إياه بلزوم التواضع ، والبعد عن التكبر . ومن فعل ذلك ، فقد فاز بسعادة الدنيا ، وخير الآخرة .

ثانيا : إن العبد إذا كان لله من المتواضعين ، فإنه يبارك له فى ماله ، ويدفع المضرات التى تأتى إليه ، ويجعل هذا العبد يسود بين الناس ويعظم فى القلوب ذكره ، ويكرم عند مجيئه .

ثالثا : إن التواضع هو شعار الإيمان ، فإذا لزمه العبد ، فقد تمسك بشعار الإيمان ، وحاز الرضا من ربه قبل الناس .

رابعًا : الابتعاد عن الشهرة الكاذبة ، والصيت الزائف ، وذلك أن العبد بتواضعه ، ومذلته فى نفسه لله ، تبعده عن مواطن الرياء ، والزهو والغرور ، ، التى تستدعى بدورها ادعاء الشهرة الكاذبة ، أو إظهار الصيت الزائف ، طلبًا لإرضاء الناس ، والتقرب إليهم . ولكن التواضع والتخلق به ينجى العبد من هذا المرض الخطير ، والوباء العظيم . أعاذنا الله منه أجمعين .

خامسًا : – إن العبد إذا تواضع لربه ، وعرف نفسه بأنها فقيرة جاهلة ، قاصرة فى حاجة إلى خالقها ، وفاطرها ، يتنعم العبد المتواضع بظل الله تعالى ورحماته ، أما إذا تكبر ، فإنه يشعر بأن ربه عليه غضبان .

سادسًا : – إن العبد بتواضعه ، يكون من أهل السعادة والسيادة فى الدنيا قبل الآخرة ، لأن من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر على الله وضعه .

وبعد ، أخى القارئ هذا قليل من كثير من ثمرات التواضع ، ولكن عليك

أن تجرب هذه الصفة الحميدة ، وسوف تشعر بالراحة ، والاطمئنان بعد التخلق بها .

جعلنا الله – بقدرته من أهلها .

التواضع
فى الشعر

قال الشاعر :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
على صفحات الماء وهو رفيع
ولاتك كالدخان يعلو بنفسه
إلى طبقات الجو وهو وضيع

* * *

وقال آخر :

إذا شئت أن تزداد قدرًا ورفعة
فلن[1]،وتواضع ،واترك الكبر والعجبا

* * *

وقال الشاعر :

تواضع إذا مانلت فى الناس رفعة
فإن رفيع القوم من يتواضع

* * *

وقال آخر :

تواضع إذا كان قدرك عاليًا
فإن اتضاع المرء من شيم العقل

---

(١) من اللين .

وقال الكريزى :

ولاتمش فوق الأرض إلا تواضعًا
فكم تحتها قوم هم منك أرفع

فإن كنت فى عز وحرز ومنعة
فكم مات من قوم هم منك أمنع

وقال يوسف بن أسباط :

وكفى بمتلمس التواضع رفعة
وكفى بمتلمس العلو سفالا

وما أحسن ما قاله الشاعر :

فلا تمش يومًا فى ثياب مخيلة
فإنك من طين خلقت وماء

ولله نعماء علينا عظيمة
ولله إحسان وفضل عطاء

وما الدهر يومًا واحدًا فى اختلافه
وما كل أيام الفتى بسواء

أزور قبور المترفين فلا أرى
بهاء ، وكانوا قبل أهل بهاء

والحمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات

فهرس

رقم الإيداع ٧٠٩٨ / ٨٧

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت ٠ ٣٤٢٧٧٢١ - ص.ب ٠ ٢٣٠
تلكس . ٢٤٠٠٤ DWFA UN

سلسلة

من

صفات عباد الرحمن

أخى المسلم : حرصا منا على إحياء الفضائل والقيم والتى ربما طمست فى قلوب البعض أخرجنا هذه السلسلة لإحياء هذه الفضائل التى غرسها الإسلام فى نفوس أوليائه فكانوا سادة العالم . وهذه هى سلسلة الرسائل :

[١] التواضع
[٢] الحياء
[٣] المروءة
[٤] الزهد
[٥] القناعة
[٦] التوبة
[٧] العفة
[٨] المحبة
[٩] صلة الرحم
[١٠] الورع
[١١] التقوى
[١٢] الإخلاص
[١٣] الصبر
[١٤] الحلم
[١٥] حفظ السر
[١٦] التوكل
[١٧] الكرامة
[١٨] الكرم والسخاء
[١٩] الوفاء بالوعد والصدق فى العهد
[٢٠] الإيثار وحب الخير
[٢١] السماحة «العفو والإحسان .. وحسن الخلق»
[٢٢] الخوف والرجاء
[٢٣] الوقار – والسكينة
[٢٤] الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
[٢٥] الحمد والرضا بالقضاء
[٢٦] الإصلاح بين الناس
[٢٧] الاستخارة والمشاورة
[٢٨] قضاء الحوائج
[٢٩] طيب الكلام
[٣٠] المسابقة إلى الخيرات
[٣١] الشكر

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر - والتحقيق - والتوزيع
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت : ٣٣١٥٨٧ ص . ب ٤٧٧